الأبعاد الفلسفية لمفهوم النيَّة وأثرها على فعلِ المُكلّف (دراسة وصفيَّة تحليلية)

د/ مصطفى حسن أحمد حسين الأقفهصي

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية والتصوف

ملخص البحث العربي

النية والإرادة والقصد إنَّما هي عبارات متوارده على معنى واحد؛ وهو حالة للقلب يكتنفها أمران: علمٌ وعملٌ، العلم يقدمه؛ لأنه أصله وشرطه، والعمل يتبعه؛ لأنه ثمرته وفرعه.

والعبادات من حيث الجملة، لا تصح ولا تجزئ إلَّا بالنيَّة، ولا يترتب ثواب أو عقاب إلَّا على أساس النية، فهي مدخل العبادة، وهي روح عمل المُكلَّف ولب قوامه؛ وقد دلت على أهميتها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد ظهر البُعد الفلسفي في إحسان النوايا، بأنه كلما أحسن المكلف نيته كلما كان ذلك سببًا للتوفيق والقبول، فعلى قدر النوايا تكون العطايا، والنية النافعة هي أن يقصد المرء بعمله وجه الله تعالى سواء كانت النفس تحب ذلك وتشتهيه أو تبغضه وتقليه.

فالنِّيَّة قطب الْعَمَل وعَلَيْهَا يَدُور، وَقد يُفِيد مُجَرّد النِّيَّة من غير عمل، ولَا يُفِيد عمل من غير نِيَّة، ويظهر البعد الفلسفي في تعديد النيَّة من خلال ثلاثة أُمور:

- **الأول:** تحويل العادة إلى عبادة بالنيَّة.
- **الثاني:** أنَّ لكل نيَّةٍ عمل.
- **الثالث:** أنَّ النية أبلغ من العمل.

بما يعني أنَّ النيَّة تدخل في كل أفعال المُكلَّف، ويشمل ذلك المعاصي والطاعات والمباحات.

مع الأخذ في الاعتبار النية الفاسدة تفسد العمل الصالح، ولكن النيَّة الصالحة لا تحول العمل الفاسد إلى عمل صالح.

الكلمات المفتاحية (النية - الإرادة - القصد - الفلسفي - البعد)

ملخص البحث بالإنجليزي

Intention, will, and intent are expressions that have one meaning. It is a state of the heart that is surrounded by two things: knowledge and work, which knowledge provides; Because it is its origin and condition, and action follows it. Because it is its fruit and branch.

Generally speaking, acts of worship are not valid or sufficient except with the intention, and no reward or punishment results except on the basis of the intention. It is the gateway to worship, and it is the soul and core of the work of the accountable person. Its importance is indicated by Qur'anic verses, Prophetic hadiths, and the works of the Companions, may God be pleased with them.

The philosophical dimension has appeared in good intentions, that the better the one who is responsible has his intention, the more it is a reason for success and acceptance. According to the amount of intentions, the gifts are made, and the beneficial intention is that a person intends by his work the face of God Almighty, whether the soul loves and desires it or hates it and rejects it.

Intention is the pole of action and it revolves around it. Mere intention may benefit without action, and action without intention does not benefit. The philosophical dimension appears in the multiplicity of intentions through three things:

The first: transforming a habit into an act of worship with intention.

- Second: Every intention has an action.
- Third: Intention is more eloquent than action.

Which means that intention is involved in all the actions of the accountable person, including sins, obedience, and permissible things.

Taking into account a corrupt intention spoils a good deed, but a good intention does not turn a corrupt deed into a good deed.

الأبعاد الفلسفية لمفهوم النيَّة وأثرها على فعلِ المُكلّف (دراسة وصفيَّة تحليلية)

د/ مصطفى حسن أحمد حسين الأقفهصي

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية والتصوف

مقدمة

بسم الله، والْحَمد لله، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على سيدنَا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وَبعد..

فإنَّ سؤالًا يطرح نفسه: هل للنية أبعاد فلسفية من شأنها أن تؤثِّر -إيجابًا أو سلبًا-على أحوال العبادة، أم أنها مجرد قضية تتجاذبها بعض الأحكام؟

في الحقيقة وعند النظر في صفحات الشرع الشريف، نجد أنَّ النية شغلت مساحة عظيمة في الشريعة، وبالإضافة إلى أنها تتعلق بها جملة من الأحكام، فإنَّ عليها مدار العمل الدنيوي، ومناط الثواب الأخروي، وعلى أساسها يكون العمل مقبولًا عند الله، أو مردودًا على صاحبه، حتى وإن كان في ظاهره مستوفيًا شروط الصحة، وفي الحديث الشريف: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**(١).

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتلخص أهمية البحث في أنَّ بالنية الحسنة يمكن أن تتحول العادات إلى قربات وطاعات يثاب عليها المسلم، حتى في تناول طعامه وشرابه، إذا أكله أو شربه بنية حفظ الحياة، وتقوية الجسد، ليستطيع القيام بعباداته وواجباته، بل فيمن أفرغَ شهوته وحصَّل متعتَه، يمكن أن تتحول إلى عبادة وطاعة إذا نوى بها إيجاد الولد أو إعفاف نفسه وأهله عن الحرام، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك بقوله: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال:

(١) متفقٌ عليه.

أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر»[٢].

والعمل الواحد قد يقصد به شيء فيكون عبادة، وقد يقصد به شيء آخر فلا يكون كذلك، بل إنه قد يقصد به شيء فيكون إيمانًا، وقد يقصد به شيء فيكون كفرًا؛ كالسجود لله تعالى أو للصنم[٣].

بينما نجد من الأبعاد الفلسفية أنَّ النيَّة لا تحول العمل الفاسد أو الحرام إلى صحيح أو حلال، فالحرام حرامٌ مهما حسنت نية فاعله، لا تؤثر فيه المقاصد والنيات الحسنة.

أي أنَّ العمل المباح هو الذي تؤثر فيه النية، فيكون للإنسان منه ما نواه وقصده، وهذا يدخل دخولًا أغلبيًّا في أبواب العبادات والمعاملات.

وترجع أسباب اختيار موضوع البحث وأهميته إلى أنه يتعلق بمقاصد الدين الشرعية ومصالح الخلق المرعية؛ ولذلك أولته الشريعة الإسلامية اهتمامًا بالغًا، بناء على اعتبار نيات المكلف وقصده، فبها يتميز العمل الصالح من الطالح، والصحيح من الفاسد، وبها أيضًا تتميز مراتب العبادات ودرجاتها، فيما كان خالصًا لله سبحانه وتعالى، وفيما كان رياء أو سمعة.

تساؤلات البحث:

- ما هو تعريف النيَّة؟
- وما هي أهميتها ومكانتها؟
- وهل تدخل في كل أفعال المُكلَّف؟
- وما هو البُعد الفلسفي لإحسان النيَّة؟
- وما هو البُعد الفلسفي لتعديد النوايا وتكثيرها؟
- وهل النيَّة الصالحة يمكن أن تصحح الأعمال الفاسدة؟

(٢) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه".
(٣) ينظر: الموافقات للإمام الشاطبي، ٢٢٥/٢، ط. دار الفكر.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المؤصلة لموضوع الدراسة.

الدراسات السابقة:

١- النية وأثرها في العبادات، هناء المهاجر طرابزونلي، رسالة ماجستير في الفقه المقارن، طبعة دار النوادر، دمشق، ٢٠١٢م.

٢- النية أقسامها وشروطها، قواعدها وتطبيقاتها، أميرة عبد الرحمن عمار، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة طنطا.

٣- القصد وأثره في العبادات والمعاملات، سارة ضياء عبود شعيب، ماجستير، كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء، ٢٠١٦م.

ومع ما استفاده الباحث من هذه الدراسات في بيان الخريطة الذهنية والمداخل العامة التي بنى عليها خُطَّة الدراسة، إلَّا أنها لم تعنى بالأبعاد الفلسفية لمفهوم النيَّة.

خطة البحث:

جاء البحث وفق خطة علمية مكونة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وهي ما نحن بصددها.

- **المبحث الأول:** النيَّة: تعريفها، وأهميَّتها

واشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** تعريف النيَّة
- **المطلب الثاني:** أهمية النيَّة ومكانتها

- **المبحث الثاني: الأبعاد الفلسفية في إحسان النوايا وتعديدها**

واشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** البُعد الفلسفي لإحسان النيَّة
- **المطلب الثاني:** البُعد الفلسفي لتعديد النوايا وتكثيرها

- **المبحث الثالث: الأبعاد الفلسفية في تحقيق مناط عمل النيَّة**

واشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** دخول النيَّة في كل أفعال المُكلَّف
- **المطلب الثاني:** النيَّة الصالحة لا تصحح الأعمال الفاسدة

والخاتمة: واشتملت على نتائج البحث وتوصياته.

نسأل الله سبحانه وتعالى حُسن القصد وإخلاص النيَّة، مع المنّ بالتوفيق وحصول الأمنية، فإنه وليُّ ذلك، والعالمُ بما هنالك.

الباحث

المبحث الأول:
النيَّة: تعريفها، وأهميَّتها

المطلب الأول: تعريف النيَّة

أولًا: النية في اللغة: من نوى الشيء نيَّة وانتواه، أي: قصده واعتقده، فيقال: فلان ينوي وجه كذا، أي: يقصده من سفرٍ أو عمل، ويقال: نويتُ الشيءَ، إذا جددت في طلبه، والنوى: التحوُّل من دار إلى دار، وهو الأصل في المعنى، ثم حملوا عليه الباب كله، فقالوا: نوى الأمر ينويه إذا قصده، والنية: الوجه الذي تنويه(٤).

ثانيًا: النية في الاصطلاح:

تطلق النية في اصطلاح العلماء ويراد بها جملة من المعاني، منها:

- **القصد والعزم:** أي قصد الشيء والعزيمة على فعله، ويكون ذلك بالقلب، أي أن النيَّة هي أن يقصد الإنسانُ بقلبه ما يريده بفعله(٥).
- **الإرادة:** أي إرادة إيجاد الفعل المطلوب شرعًا على وجهه، والمقصود بها الإرادة

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥ / ٣٦٦)، "لسان العرب" (٣٤٧/١٥)، ومختار الصحاح (٦٨٨/١).
(٥) ينظر: "الذخيرة" للإمام القرافي (١٣٤/١)، ط. كلية الشريعة، القاهرة: ١٩٦١م، و"المجموع" للنووي (٣٦٧/١).

الجازمة، وهي صفة توجب تخصيص المفعول بوقت وحال دون غيرهما(٦).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}** [سورة الأنعام: ٥٢]. وَالْمُرَادُ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ هِيَ النِّيَّةُ.

يقول الإمام القرافي: [أعلم ان جنس النِّيَّة هُوَ الإرادة، وَهِي صفة تَقْتَضِي التَّخْصِيص لذاتها عقلا شَاهدًا وغائبًا كَمَا يَقْتَضِي الْعلم الْكَشْف لذاته عقلًا شَاهدًا وغائبًا، وترتب الْكَشْف عَلَيْهِ والتخصيص على الإرادة لَيْسَ بِمَعْنى زَائِد أوجب لَهُ ذَلِك، بل التَّخْصِيص مَعَ الْإِرَادَة والكشف مَعَ الْعلم نَحْو كَون الْعشْرَة زوجًا والخمسة فَردًا لَيْسَ مُعَلَّلًا بِشَيْءٍ.

ثمَّ إِن هَذِه الْإِرَادَة متنوعة الى الْعَزْم والهم وَالنِّيَّة والشهوة وَالْقَصْد وَالِاخْتِيَار وَالْقَضَاء وَالْقدر والعناية والمشيئة، فَهِيَ عشرَة أَلْفَاظ..

وَأما النِّيَّة: فَهِيَ إِرَادَة تتَعَلَّق بإمالة الْفِعْل الى بعض مَا يقبله لَا بِنَفس الْفِعْل من حَيْثُ هُوَ فعل، فَفرق بَين قصدنا لفعل الصَّلَاة وَبَين قصدنا لكَون ذَلِك قربَة أَو فرضًا أَو نفلًا أَو أَدَاءً أَو قَضَاءً الى غير ذَلِك مِمَّا هُوَ جَائِز على الْفِعْل بالإرادة الْمُتَعَلّقَة بِأَصْل الْكسْب والإيجاد، وَهِي الْمُسَمَّاة بالإرادة من جِهَة أَن هَذِه الْإِرَادَة مميلة للْفِعْل الى بعض جهاته الْجَائِزَة عَلَيْهِ، فتسمى من هَذَا الْوَجْه نِيَّة، فَصَارَت الْإِرَادَة إِذا اضيف إِلَيْهَا هَذَا الِاعْتِبَار صَارَت نِيَّة] اهـ(٧).

وبالتحقيق: فإن النية والإرادة والقصد عبارات متوارده على معنى واحد؛ وهو حالة للقلب يكتنفها أمران: علمٌ وعملٌ، {العلم} يقدمه؛ لأنه أصله وشرطه، {والعمل} يتبعه؛ لأنه ثمرته وفرعه، وذلك لأن كل عمل -أعني كل حركة وسكون- اختياري فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم، وإرادة، وقدرة؛ لأنه لا يريد الإنسان مالا يعلمه، فلابد وأن يعلم، ولا يعمل ما لم يرد، فلا بد من إرادة، ومعنى الإرادة: انبعاث القلب إلى ما يراه موافقًا

(٦) ينظر: "قواعد الأحكام" (٩/١)، و"رد المحتار" (٣٠٤/١، ط. مطبعة الحلبي).
(٧) القرافي، "الأمنية في إدراك النية"، ط. دار الكتب العلمية – بيروت (ص ٨، ٩).

للغرض، إما في الحال أو في المآل(٨).

والفرق بينها وبين العزم: أَنَّ النِّيَّة إِرَادَة مُتَقَدّمَة للْفِعْل بأوقات؛ فسميت بهَا الْإِرَادَة الَّتِي مَا بَينهَا وَبَين مرادها، وَلَا يُفِيد قطع الروية فِي الْإِقْدَام على الْفِعْل.

والعزمُ قد يكون مُتَقَدما للمعزوم عَلَيْهِ بأوقات وبوقت، وَلَا يُوصف الله بِالنِّيَّةِ لِأَن إِرَادَته لَا تتقدم فعله وَلَا يُوصف بالعزم كَمَا لَا يُوصف بالروية وقطعها فِي الْإِقْدَام والإحجام(٩).

فالنيَّة -كتعبير فلسفيٍّ- هي حالة ذهنية ذاتيَّة مضمرة، لا تدركها حواس الغير، ولا تُعرف إلَّا بمظاهرها الخارجية، مناطها: خوالج التفكير ودفائن النفس، ولذلك فقد تميزت بالصراحة وصدق التعبير عن المشاعر والمصالح الخاصة دون افتعالٍ أو زيفٍ أو رياء(١٠).

المطلب الثاني: أهمية النيَّة ومكانتها:

النيَّة روح عمل المُكلَّف ولب قوامه؛ وقد دلت على أهميتها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة رضوان الله عليهم:

قَالَ تَعَالَى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}** [سورة البينة: ٥]، وقال سبحانه: **{إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بينهما}** [سورة النساء: ٣٥]، فجعل الله سبحانه وتعالى نية الحَكمين مع الزوجين سببَ التوفيق في إرجاع العلاقة والإصلاح بينهما، فإن نووا (الزوجان والحكمان) الصلح؛ فإن الله تعالى قد كفل لهم التوفيق في ذلك.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"**(١١)، فجعل الله سبحانه وتعالى محل النظر القلوب، وذلك لأنها مظنة النية وتحديد المراد.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **"إن العبد ليعمل أعمالًا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها**

(٨) الغزالي، "إحياء علوم الدين"، ط. دار المعرفة (٣٦٥/٤).
(٩) العسكري، "الفروق اللغوية" ط. دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر (١٢٤/١).
(١٠) د/ محمد مصباح القاضي، "مبدأ حسن النية في قانون العقوبات"، دراسة تحليلية لفكرة حسن النية في القانون المصري والقانون المقارن، ط. دار النهضة العربية – ١٩٩٧م (ص٤).
(١١) أخرجه الإمام مسلم في "الصحيح".

وجهي، ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: يا ربنا إنه لم يعمل شيئًا من ذلك، فيقول الله تعالى: إنه نواه"(١٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **"الناس أربعة؛ رجل أتاه الله عز وجل علمًا ومالًا فهو يعمل بعلمه في ماله، فيقول رجلٌ: لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل، فهما في الأجر سواء، ورجلٌ آتاه الله تعالى مالًا ولم يؤته علمًا، فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجلٌ لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل، فهما في الوزر سواء"**(١٣).

فقد شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه، وهذا من الفضل والإحسان.

وفي الحديث النبوي المشهور: **"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"**(١٤).

أي: الأعمال المتقرَّب بها إلى الله تعالى، وهذا الحديث بحكم عمومه يتناولُ جميعَ أعمال الطَّاعات؛ فهو عموم مؤكَّد، يُبين أنَّ النية أساس العمل.

وقد دل عليه قوله "إنَّما"، والتي تفيد الحصر والقصر، وهي في قوة قوله: "لا عمل إلا بنية".

قال الإمام النووي: [فتقدير هذا الحديث: أنَّ الأعمال تحسب بنية، ولا تحسب إذا كانت بلا نية] اهـ(١٥).

وقد استنتج الفقهاء من هذا الحديث جملة من القواعد الضابطة لمفهوم النيَّة، ومن ألصقها: (الأمور بمقاصدها)، وهي قاعدة شرعية أصيلة، عدَّها العلماء من القواعد الفقهية الخمسة الكبرى، ومن المقرر أنَّ القاعدة كلما كانت ألفاظها ألصق باللفظ الشرعي كلما كانت أتم وأكمل في الدلالة على المقصود منها.

ومما تدل عليه هذه القاعدة: أن كلَّ قولٍ أو عملٍ إنما يكون بمقصد صاحبه ومراده، وبالغاية التي يريد الوصول إليها من وراء قوله أو عمله، فتقاس الأعمال والأقوال

(١٢) أخرجه البزار في "المسند"، والطبراني في "الأوسط"، والبيهقي في "شعب الإيمان".
(١٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند".
(١٤) سبق تخريجه.
(١٥) النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، ط. دار إحياء التراث العربي (١٣/ ٥٤).

بمقياس النوايا، ويترتب الحكم على مقتضى ما هو المقصود.

والأعمال إنَّما تختلف نتائجها وآثارها باختلاف ما يقوم في قلب صاحبها، قبولًا أو ردًّا، وكمالًا أو نقصًا، وهي وإن اتفقت صورتها في الظاهر إلا أنها تختلف أحكامها وآثارها وعواقبها باختلاف النيات، ومن طالع صفحات الشرع الشريف وجد أنَّ النيَّة لها نصف التكليف؛ لأن التشريع إمَّا أنه يتعلَّق بالأعمال الباطنية، وإمَّا أنه يخص أعمال الظاهر، والأصل في أعمال الباطن وما يدلُّ عليها هو النية، دلَّ عليه قوله تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}** [البينة: ٥].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أفضلُ الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عما حرَّم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله تعالى".

قال العلامة أبو طالب المكي: روينا في الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام: **"لا يقبل الله تعالى قولًا إلاّ بعمل، ولا قولًا وعملًا إلَّا بنية"**(١٦).

والإخلاص إنما يكون بالقلب، وذلك أن لابن آدم جوارح ظاهرة وجوارح باطنة، فعلى الظاهرة العبادة والامتثال، وهو قوله تعالى **{وما أمروا إلا ليعبدوا الله}**، وعلى الباطنة أن تعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله مخلصة في ذلك، وهو قوله تعالى: **{مخلصين له الدين}**.

فالأصل الذي تتفرع عنه العبادات على أنواعها هو الإخلاص، وذلك لا يكون إلا بالقلب فعلى هذا الجوارح الظاهرة تبع للباطنة، فإن استقام الباطن استقام الظاهر جبرًا، وإذا دخل الخلل في الباطن دخل في الظاهر من باب أولى، فعلى هذا ينبغي للمؤمن أن تكون همته وكليته في تخليص باطنه واستقامته إذ إنَّ أصل الاستقامة منه تتفرع، وهو معدنها، وقد نص الحديث على هذا وبينه أتم بيان فقال عليه الصلاة والسلام: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**(١٧).

والعبادات من حيث الجملة، لا تصح ولا تجزئ إلَّا بالنيَّة، ولا يترتب ثواب أو عقاب

(١٦) أبي طالب المكي، "قوت القلوب" للعلامة (٢/ ١٠١).
(١٧) ابن الحاج، "المدخل"، ط. دار التراث، (٧/١).

إلَّا على أساس النية، فهي مدخل العبادة، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: "إن النية نجدها في سبعين بابًا من أبواب الفقه".

وقد شرعت النية لتمييز العادة من العبادة، أو لتمييز رُتَب العبادة بعضها عن بعض:

والعبادة: ما يقصد به الامتثال ابتغاء لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

والعادة: يغلب فيها الجانب النفسي والحظوظ الدنيوية.

وقد تشتبه بعض العبادات والعادات في الظاهر والصورة، بحيث لا يمكن التمييز بينهما شرعًا إلَّا بالنيَّة.

فمن تمييز العبادات عن العادات: الغسلُ، فإنَّه متردِّدٌ بين ما يفعل قربة إلى الله تعالى؛ كالغسل عن الأحداث، وبين ما يفعل لأغراض العباد من التبرُّد والتنظُّف، والاستحمام، والمداواة، وإزالة الأوضار، والأقذار، فلما تردَّد بين هذه المقاصد، وجب تمييز ما يفعل لرب الأرباب، عمَّا يُفعل لأغراض العباد، وهناك أمثلة غير هذا؛ كرفع الأموال، والإمساك عن المُفطِّرات، وحضور المساجد، والضحايا، والهدايَا، والحج.

وأما تمييز رتَب العبادات: فالصلاة، تنقسم إلى فرضٍ ونفلٍ، والنفل ينقسم إلى راتب، وغير راتب، والفرض ينقسم إلى منذور وغير منذور، وغير المنذور ينقسم إلى ظهر، وعصر، ومغرب، وعشاء، وصبح، وإلى قضاء، وأداء، فيجب في النفل أن يميّز الراتب عن غيره بالنيَّة، وكذلك تمييز صلاة الاستسقاء عن صلاة العيد، وكذلك في الفرض تمييز الظهر عن العصر، والمنذورة عن المفروضة بأصل الشرع، وكذلك في العبادة المالية تمييز الصدقة الواجبة عن النافلة، والزكاة عن المنذورة والنافلة، وكذلك تمييز صوم النذر عن صوم النفل، وصوم الكفارة عنهما، وصوم رمضان عما سواه، وتمييز الحج عن العمرة، كل ذلك تمييزًا لبعض رتب العبادات عن صور بعض، ولا يكفيه مجرد نية القربة دون تعيين الرتبة، فإن أطلق نية الصوم، أو الصلاة، حمل على أقلّهما؛ لأنه لم ينوِ التقرُّب بما زاد على رتبتها.

فإن كانت العبادة غير ملتبسة بالعادة؛ كالإيمان؛ والتعظيم، والإجلال، والخوف،

والرجاء، والتوكّل، والحياء، والمحبة، والمهابة، فهذه متعلِّقة بالله عز وجل، قربة في أنفسها، متميّزة لله بصورتها، لا تفتقر إلى قصد يجعلها قربة، فلا حاجة في هذا النوع إلى نيَّة تصرفه إلى الله عز وجل، وكذلك التسبيح والتهليل والتكبير، والثناء على الله عز وجل بما لا يُشارَكُ فيه، والأذان، وقراءة القرآن؛ فإنَّه لا يحتاج إلى نيَّة، إذ لا تردُّد له بين العبادة والعادة، ولا بين رتب العبادة، والنيَّات إنما شرعت لتمييز العبادات عن العادات، أو لتمييز رتب العبادات(١٨).

ومن مقاصد النيَّة وأهميتها: تمييز القصود والمراد من عمل المُكلَّف، بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره، وهذه النية هي التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيرا في كلام السلف المتقدمين.

وقد صنَّف الإمام أبو بكر بن أبي الدنيا مصنفا سماه: كتاب "الإخلاص والنية" وإنما أراد هذه النية، وهي النية التي يتكرر ذكرها في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة بلفظ النية، وتارة بلفظ الإرادة، وتارة بلفظ مقارب لذلك، وقد جاء ذكرها كثيرا في كتاب الله عز وجل بغير لفظ النية أيضا من الألفاظ المقاربة لها(١٩).

فلا بد من النية في كل عمل حتى ولو لم يتمه العبد، وقد حرم أناسٌ الوصول لتضييعهم الأصول، والنية هي أصل الأصول وفرض الفرائض.

المبحث الثاني:
الأبعاد الفلسفية في إحسان النوايا وتعديدها

من أهم المباحث المتعلقة بالنيَّة ما يتعلَّق منها بإحسان وتكثيرها، وهو أهم ما في هذا الشأن، بل هو ثمرته، وما تفاوت الناس في عباداتهم إلَّا بإحسان نواياهم وتعديدها في كل أفعالهم ومعاملاتهم (مع الله، ومع الخلق، ومع النفس).

(١٨) ابن دقيق العيد، "شرح الإلمام بأحاديث الأحكام" ط. دار النوادر، (٤/ ٥٣٨، ٥٣٩) وابن الملقن "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" ط. دار النوادر (١٧٩/٢).
(١٩) ابن رجب الحنبلي "جامع العلوم والحكم" ط. مؤسسة الرسالة – بيروت ٢٠٠١م (٦٦/١).

ويأتي الكلام في الأبعاد الفلسفيَّة لذلك على مطلبين:

المطلب الأول: البُعد الفلسفي لإحسان النيَّة:

يظهر البُعد الفلسفي في إحسان النوايا، بأنه كلما أحسن المكلف نيته كلما كان ذلك سببًا للتوفيق والقبول، فعلى قدر النوايا تكون العطايا، على قدرها من الإحسان والإخلاص وصدق التوجه تأتي العطايا والهبات، فهي مفتاح المنح والفتوحات، وهي سر تنزل السكينة والرحمات، قال تعالى: **{إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ}** [الأنفال: ٧٠]، وقال سبحانه: **{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}**[الفتح: ١٨، ١٩].

فلابُدَّ للمكلَّف مِن إخلاص النِّيَّةِ وإحسانها في كُلِّ حَرَكَةٍ وسُكونٍ، والله سبحانه وتعالى هو الذي كلَّف عباده وطلب منهم إحسان نيتهم، وهو سبحانه لا يذهب صدقها ولو خفي ذلك عن عباده؛ قال تعالى: **{رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}** [الإسراء: ٢٥]..

واحسان النية كما يزيد صاحبها خيرًا وقربًا ويكون سببًا رئيسًا في أن تبلغه هذه النيَّة منازلَ المتصدقين، فإن النية السيئة أيضًا تزيد صاحبها سوءًا وبعدًا؛ قال عزَّ وجلَّ: **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا }** [سورة البقرة: ٩].

فأقرَبُ النِّيّاتِ بالنَّجاحِ أعوَدُها بالصَّلاحِ، وأقربها للخسران أعودها بالهوان والإساءة.

ويظهر سوء النية في أن يُبطِنَ العبد من السوء خلاف ما يظهر، أو أن يبتغيَ العبد الدنيا بالدين، وبيَّن لنا ربنا تبارك وتعالى أن سوء النية مقصود عند كثير من الناس، كما أن هناك الكثير من العباد ممن حسُنَتْ نواياهم؛ قال تعالى :﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا *وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]، وقال تعالى :﴿ **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فقد سئل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية،

ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله" متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الهجرة، فقال:: **«لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»**(٢٠).

أي أن تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة ولكن حصلوه بالجهاد والنية الصالحة وفي هذا الحث على نية الخير مطلقًا وأنه يثاب على النية(٢١).

وقد كتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما: اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية، فمن ثبتت نيته: تم عون الله له، ومن قصرت عنه نيته، قصر عنه عون الله بقدر ذلك(٢٢).

وكتب بعض الصالحين إلى أخيه: أخلص النية في أعمالك يكفك قليل العمل... من لم يهتد إلى النية بنفسه فليصحب من يعلمه حسن النية... الإنسان لا يخلو من أحد أمرين: إما حركة وإما سكون وكلاهما عمل، فإن تحرك الإنسان أو سكن ساهيًا أو غافلًا كان ذلك عملًا عاريًا عن النية فيخرج أن يكون عملًا شرعيًّا للحديث المتقدم **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»**.

فإذا تقرر هذا وعلم: تحصل منه أن إحسان النيَّة هو الإخلاص فيه، وهو سرٌّ خاصٌّ بين العبد وربه، لا يطلع عليه أحد من خلق الله؛ ومعناه: أن يجعل العبد عبادته خالية من كل ما يشوبها؛ فتكون خالصة يُراد بها وجه الله تعالى وحده وابتغاء مرضاته، فإذا فعل ذلك كانت عبادته متحققة بالإخلاص، ووقعت على الوجه الذي يريده الله عز وجل؛ قال تعالى: **﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾**. أي أنَّ الله تعالى لا يقبل من العمل إلا إذا أخلص فيه العبد لله وحده، وقصد به وجهه؛ فالناس هم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد.

وفي الحديث القدسي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ

(٢٠) متفقٌ عليه.
(٢١) ينظر: الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق (٨/١٣).
(٢٢) ينظر: "المدخل" (٧/١، ط. دار التراث).

وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢٣).

ويعد إحسان النوايا معيارًا لقبول الأعمال وردِّها؛ يقول الله تعالى: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢٤).

مما يؤكِّد على أن مدار الأمر إنما يقوم على إخلاص النية لله تعالى، والصدق في معاملة الخالق جل وعلا، وأن فعل هذه الأمور -على عظمها- لا يفيد صاحبه إن أراد من ورائها ثناء الناس، بل إن العقوبة عليها حينئذٍ تكون عقوبة مغلظة.

(٢٣) رواه مسلم في "الصحيح".
(٢٤) رواه مسلم في "الصحيح".

المطلب الثاني:
البُعد الفلسفي لتعديد النوايا وتكثيرها

يتعلَّق بالنوايا معنى في غاية الأهمية وهو متعلق بمقصود الشرع من أعمال أفراد المُكلَّفين، وهو معنى تكثير النية وتعددها في العمل الواحد؛ تحصيلًا للأجر وتكثيرًا للثواب.

ومن أعظم الناس منزلة وأكثرهم خيرا وبركة الواقف مع نيته في حركته وسكونه، فإنه َلَا يَزَالُ فِي خَيْرٍ دَائِمٍ وَأُجرٍ مُتَزَايِد، بِخِلَافِ غَيْرِهِ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْهُو حِينَ الْفِعْلِ أَوْ يَفْعَلُهُ بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ أَوْ يَفْعَلُهُ وَلَهُ فِيهِ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ.

وهذا البُعد هو الذي أوقع الفرق بيننا وبين سلفنا وخيار من تقدمنا رضوان الله عليهم، فكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة، ونحن اليوم إنما العبادة عندنا ما كان من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وأصول الدين المعروفة.

وقد حكى القشيري -رحمه الله تعالى- في التحبير له قال: قيل: إن رجلًا من الصالحين رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورفع درجاتي فقيل له: بماذا؟ فقال له: هاهنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود، ويعطون بالنية لا بالخدمة، ويغفرون بالفضل لا بالفعل(٢٥).

ويظهر البعد الفلسفي في تعديد النيَّة من خلال ثلاثة أُمور:

الأول: تحويل العادة إلى عبادة بالنيَّة:

فالنية الحسنة تجعل من العمل المباحِ قربة يؤجر عليها المسلم، فيستطيع أن يحول العادة إلى طاعة وعبادة، ففي قصة تحاور أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما في كيفية قراءتهما للقرآن، قال معاذ :أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي(٢٦).

وذلك لأنه ينام بِنِيَّةِ الْقُوَّة وَإِجْمَاع النَّفْس لِلْعِبَادَةِ وَتَنْشِيطهَا لِلطَّاعَةِ، فيرْجُو فِي ذَلِكَ

(٢٥) ينظر: "المدخل" لابن الحاج (٩/١).
(٢٦) متفقٌ عليه.

الْأَجْر كَمَا يرْجُو فِي قَوْمَتِه أَيْ: صَلَوَاتِه.

فيَطْلُب الثَّوَاب فِي الرَّاحَة كَمَا يَطْلُبهُ فِي التَّعَب؛ لِأَنَّ الرَّاحَة إِذَا قُصِدَ بِهَا الْإِعَانَة عَلَى الْعِبَادَة حَصَّلَتْ الثَّوَاب.

ويعمل على استحضار النيَّة عند إرادة الأكل والشرب والنوم ويقصد بها التقوّي عَلَى الطاعة، وإراحة البدن لينشط لها، وقد نقل عن بعض السلف أنه قال: إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية، في أكلي وشربي ونومي، وفي دخولي الخلاء، وكل ما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى؛ فمثلًا: إذا أراد الزوج جماع زوجته، يمكن له أن ينوي بهذا الفعل نوايا متعددة؛ يقصد إيصالها حقها، وتحصيل ولد صالح يعبد الله تعالى، ويقصد إعفاف نفسه، وصيانتها من التطلع إلى حرام، والفكر فيه، فمن حرم النية في هذه الأعمال، فقد حرم خيرًا عظيما كثيرًا، ومن وُفِّقَ لها، فقد أعطي فضلًا جسيمًا[٢٧].

وفي ذلك إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وفي بضع أحدكم صدقة! قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[٢٨].

قال الإمام النووي: [وفي هذا دليلٌ على أنَّ المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات؛ فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعهما جميعًا من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة] اهـ[٢٩].

الثاني: أنَّ لكل نيَّةٍ عمل:

فإذا همَّ العبد بعملٍ وقف وِقفةَ المتدبر والمُفكِّر: كم يمكن أن يكون في هذا العمل من نية؟

فربما وجد في العمل الواحد عشر نيّات أو أكثر لما يحتمل ذلك العمل من وجوه البرّ ومعاني القربات المندوب إليه، فيمكن أن يكون له بكل نية عمل، فيؤجر على العمل

(٢٧) ينظر: "التوضيح" لابن الملقن، مرجع سابق (١٩٩/٢).
(٢٨) رواه مسلم في "الصحيح".
(٢٩) ينظر: شرح صحيح مسلم، مرجع سابق (٩٢/٧).

الواحد بقدر ما نوى، فيكون لكل نية عمل وبكل عمل أجر؛ وهو من فضائل الأعمال وتضاعيف الحسنات، ولا يعلم ذلك ويدركه إلاّ العلماء بالله تعالى وأحكامه؛ وهو طريق الكبار من صالحيّ أهل الأحوال؛ وما زكت أعمالهم وارتفعت مقاماتهم وكثرت أجورهم وحسنت حالاتهم إلَّا بتحسين نياتهم وتعديدها، لا بكثرة الأعمال ومزيد العبادات.

ولو لم يكن في تجديد النية الحسنة وتفقد الهمة العالية إلاّ أنّ صاحبها لايزال عاملًا من عمال الله تعالى بقلبه وهمه، وإن لم يساعده القدر على الأفعال بجوارحه، فيكون مأجورًا أبدًا.

وقد ورد عن جماعة من العلماء أنهم قالوا: ما بلغت صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغوا بكثرة عمل ولا بطول عبادة، ولكن بكثرة نيَّاتهم.

والعِبادُ متفاوتون في التعبد والسلوك والسير إلى ملك الملوك، فربَّ اثنين يقفان بجوار بعضهما في صفٍّ واحدٍ من صفوف الصلاة وبينهما من الثواب والمراتب ما بين السماء والأرض، أحدهما قلبه ساجد تحت عرش الرحمن، والثاني عقله مشغول بأمور الدنيا وزخارفها، حضوره فيها حضور صورةٍ وجسمٍ، لا حضور عقل وقلبٍ، وليس للمرء من صلاته إلَّا ما عقل منها، فكم يُحصِّل هذا المصلي الذي أجهد نفسه في هذه الفريضة من الدرجات؟! وهكذا الشأن في كل العبادات والطاعات؛ إذ العبادة اسمٌ جامعٌ وشاملٌ لكلّ ما يحبّه الله تعالى ويرضاه؛ قولًا وفعلًا، ظاهرًا وباطنًا.

فهي إذن درجات ومراتب، ولذلك لم تكن الجنة على نعيمٍ واحدٍ، أو درجةٍ واحدةٍ يستوي فيها كل من يدخلها.. بل تتفاوت حسب ما عمله العبد وحصَّله، **﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** [المطففين: ٢٦].

وقد وردت جملة من الآثار في ذلك؛ منها:

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عما حرَّم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله تعالى.

- وقال أبو هريرة رضي الله عنه يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم.

- وقال الثوري: كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل.

- وكتبَ سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: اعلم أنَّ عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره.

- وقال داود الطائي: البر همته التقوى، فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يومًا إلى نية صالحة، وكذلك الجاهل بعكس ذلك.

- وقال بعض العلماء: اطلب النية للعمل قبل العمل، وما دمت تنوي الخير فأنت بخير.

- وقال الحسن: إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيَّات.

- وقال بلال بن سعد: إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله، فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه، فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلحت نيته، فبالحري أن يصلح ما دون ذلك.

فإذن عماد الأعمال بالنيات، فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيرًا، والنية في نفسها خيرٌ وإن تعذر العمل بعائق(٣٠).

الثالث: أنَّ النية أبلغ من العمل:

مما دلَّت عليه معاني الشريعة: أنَّ نية المرء خيرٌ من عمله، ولذلك طلب من المُكلَّفين أن يتعلموا النيَّة كما يتعلمون العمل وكيفية أداء العبادات.

وقد ورد في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ»(٣١). أي: أنَّ أجر المؤمن في نيته أكثر من أجر عمله، لامتداد نيته مما لا يقدر هو على عمله.

ومعنى ذلك: أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل، والنية من جملة الخيرات والعمل من جملة الخيرات، ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل، أي لكل واحد منهما أثر في

(٣٠) الغزالي، إحياء علوم الدين، للإمام (٣٦٤/٤)، و"جامع العلوم والحكم" (٧١/١، ط. مؤسسة الرسالة).

(٣١) أخرجه الشهاب القضاعي في "المسند"، والبيهقي في "شعب الإيمان"، وأبو نعيم في "الحلية".

المقصود، وأثر النية أكثر من أثر العمل.

فنيَّة المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته أيضًا، والغرض: أن للعبد اختيارًا في النية وفى العمل، فمهما عملان، والنية من الجملة خيرهما.

وهذا المعنى لا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه، وعرف مبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد، وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح والأبلغ.

فمن هذا الوجه يعرف لا محالة أن أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح.

وذلك لأن المؤمن في عمل ونيته عند فراغه لعمل ثان، وكذلك أن النية بانفرادها توصل إلى ما لا يوصله العمل بانفراده.. فكانت أبلغ وأنفع، ومن الناس من تكون نيته وهمته أجل من الدنيا وما عليها وآخر نيته وهمته من أخس نية وهمة.

فالنية تبلغ بصاحبها في الخير والشر ما لا يبلغه عمله، فأين نية من طلب العلم وعلمه ليصلي الله عليه وملائكته وتستغفر له دواب البر وحيتان البحر إلى نية من طلبه لمأكل أو وظيفة كتدريس، وسبحان الله كم بين من يريد بعلمه وجه الله والنظر إليه وسماع كلامه وتسليمه علمه في جنة عدن، وبين من يطلب حظًا خسيسًا من العرض الفاني(٣٢).

فصدقُ القلبِ سببٌ لبلوغ الأرب، وأن من نوى شيئًا من عمل البرّ أُثيب عليه وإن لم يتفق له عملُه، وفي الحديث الشريف أيضًا: «إن بالمدينة لرجالًا، ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم العذر».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: «إن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته مالا يعطيه على عمله، وذلك أن النيةَ لا رياء فيها، والعمل يخالطه الرياء».

وقبل ذلك كله قوله تعالى: [وَمن يخرج من بَيته مُهَاجرا إِلَى الله وَرَسُوله ثمَّ يُدْرِكهُ

(٣٢) ينظر: "فتح القدير" (٢٩٢/٦، ط. المكتبة التجارية الكبرى).

الْمَوْت فقد وَقع أجره على الله].

فالنِّيَّة قطب الْعَمَل وعَلَيْهَا يَدُور، وَقد يُفِيد مُجَرّد النِّيَّة من غير عمل، ولَا يُفِيد عمل من غير نِيَّة، فإذا دخل المسلم المسجد متوضئًا، وصلى ركعتين ينوي بهما سنة الفجر، وسنة الوضوء، وسنة تحية المسجد، حصل له أجر ما نوى، ولو صلَّى يَنْوِي بِهَا الْفَرْضَ وَتَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ صَحَّتْ صَلَاتُهُ وَحَصَلَ لَهُ الْفَرْضُ وَالتَّحِيَّةُ جَمِيعًا، والله ذو الفضل العظيم، فما أعظم الأجور على يسير الأعمال من ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى!

وقال بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية.

وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملًا لله تعالى فإني لا أحب أن يأتي علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله، فقيل له: قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركته فهِمَّ بعمله، فإن الهامَّ بعملِ الخير كعامله(٣٣).

وعلى ذلك ومن خلال هذه الأمور الثلاثة: فينبغي أن يكون المؤمن محافظًا على نيته ابتداء، فإذا أراد أن يزيد في عمله ينظر أولا في نيته فيحسنها، فإن كانت حسنة فينميها إن أمكن تنميتها، وما افترق الناس في غالب أحوالهم إلا من هذا الباب؛ لأن الغالب على بعضهم تقارب أفعالهم ثم إنهم يفترقون في الخيرات والبركات بحسب مقاصدهم وتنمية أفعالهم.

مثال ذلك: ثلاث رجال يخرجون إلى الصلاة:

أحدهم: يخرج وينظر إن كانت له حاجة لنفسه أو لبيته قضاها في طريقه وهو ساهٍ عن نية التقرب بذلك إلى الله تعالى، فهذا له أجر الصلاة ليس إلا والخطى التي استعملها للمسجد قد ذهبت لقوله عليه الصلاة والسلام: **«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»** أخرجه أبو داود. وفي البخاري ومسلم **«لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ**

(٣٣) ينظر: إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (٣٦٤/٤)، و"جامع العلوم والحكم" (٧١/١).

بِهَا خَطِيئَةً» فشرط -عليه الصلاة والسلام- في حصول هذا الأجر أنه لا يريد إلا الصلاة وهذا المذكور قد أراد غيرها بالحاجة التي نوى قضاءها.

والثاني: خرج إلى الصلاة ليس إلا ولم يخلط مع هذه النية غيرها، فهذا أعظم أجرًا من الأول؛ لأنه حصل له بركة الخطى إلى المسجد على ما أخبر به صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه.

والثالث: خرج بما خرج به الثاني لكنه حين خروجه نظر في نيته إن كان يمكن تنميتها أم لا؟ فوجد ذلك ممكنًا متحصِّلًا ففعله، فخرج وله من الأجور ما لا يعلمه إلا الله الذي منَّ عليه بذلك، فإذا كان الأمر كذلك فلا يقتصر على الخروج إلى المسجد ليس إلا، بل ذلك في كل الأفعال دقيقها وجليلها كبيرها وصغيرها مهما أمكن تنميتها فعل ذلك.

فيحصل به الخير العظيم والسعادة العظمى مع راحة البدن من التعب وغيره لكن ذلك بشرط يشترط فيه وهو أن يكون مهما ظفر بشيء مما نواه، وهو يقدر على فعله من غير كراهية للشرع في فعله فليبادر إليه(٣٤).

المبحث الثالث:
الأبعاد الفلسفية في تحقيق مناط عمل النيَّة

المطلب الأول: دخول النيَّة في كل أفعال المُكلَّف:

اعلم أنَّ أعمال المُكلَّف وإن انقسمت أقساما كثيرة ومتعددة؛ من فعلٍ وقولٍ، وحركةٍ وسكونٍ، وجلبٍ ودفعٍ، وفكرٍ وذكرٍ، وغير ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه: إلَّا أنها ترجع في مجملها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المعاصي، وهذه لا تتغير عن موضعها بالنية -كما سيأتي في المطلب الثاني- فلا ينبغي أن يفهم من عموم حديث "إنما الأعمال بالنيات" أن المعصية يمكن لها أن تنقلب طاعة بالنية.

القسم الثاني: الطاعات، وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف

(٣٤) ينظر في ذلك كله: "المدخل" لابن الحاج، مرجع سابق (٨/١).

فضلها، أما الأصل: فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير، فإن نوى غير ذلك كالرياء مثلًا صارت معصية، وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة.

القسم الثالث: المباحات، وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات، يمكن أن يصير بها هذا الشيء من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي المهمل عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئًا من الخطرات والخطوات واللحظات، فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إنَّ العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه"(٣٥).

المطلب الثاني: النيَّة الحسنة لا تصحح الأعمال الفاسدة:

ذكرنا في المطلب السابق أن المعاصي والأعمال الفاسدة لا تتغير عن موضعها بالنية فلا تصحح أو تنقلب صالحة بمجرد النيَّة.

فالنية الفاسدة تفسد العمل الصالح كما تقرر، ولكن النيَّة الصالحة لا تحول العمل الفاسد إلى عمل صالح، فمن أذنبَ ذنبًا لا يتحول ذنبه هذا إلى طاعة بالنيَّة؛ كمن سرق مثلًا، فلا نية صالحة في هذا الفعل، فلم تصلح نيته عمله.

فمن خرج للجهاد فهو خارج إلى عمل صالح وفضيلة عظيمة، ولكنه يمكن أن تفسده النية الفاسدة ولا يتحول معها إلى قربة أو طاعة كأصله، كمن خرج حتى يراه الناس، ويقولون عنه: إنه رجل شجاع، وتلك نية فاسدة تبطل جهاده، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"(٣٦).

والإنسان كما كلف بإصلاح نيته فقد كلف أيضًا بإصلاح عمله، ولا تصلح النية

(٣٥) ينظر: "إحياء علوم الدين" (٣٧١/٤).
(٣٦) متفق عليه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الصالحة العمل الفاسد، وقد قال حجة الإسلام الغزالي: المعاصي لا تتغير إلى طاعات بالنية، فلا ينبغي أن يُفهم ذلك من عموم قوله: إنما الأعمال بالنيات، فيظن أن المعصية تنقلب طاعة.

وقال أيضًا: والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلمًا وعدوانًا، بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر، فإن عرفه فهو معاند للشرع، وإن جهله فهو عاص بجهله، إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم(٣٧).

الخِاتمة

من خلال ما سبق بيانه، استطاع الباحث أن يتوصل إلى عددٍ من النتائج والتوصيات، يمكن استخلاصها فيما يلي:

(١) النية والإرادة والقصد إنَّما هي عبارات متوارده على معنى واحد؛ وهو حالة للقلب يكتنفها أمران: علمٌ وعملٌ، العلم يقدمه؛ لأنه أصله وشرطه، والعمل يتبعه؛ لأنه ثمرته وفرعه.

(٢) النيَّة روح عمل المُكلَّف ولب قوامه؛ وقد دلت على أهميتها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة رضوان الله عليهم.

(٣) كلَّ قولٍ أو عملٍ إنما يكون بمقصد صاحبه ومراده، وبالغاية التي يريد الوصول إليها من وراء قوله أو عمله، فتقاس الأعمال والأقوال بمقياس النوايا، ويترتب الحكم على مقتضى ما هو المقصود.

(٤) العبادات من حيث الجملة، لا تصح ولا تجزئ إلَّا بالنيَّة، ولا يترتب ثواب أو عقاب إلَّا على أساس النية، فهي مدخل العبادة.

(٥) يظهر البُعد الفلسفي في إحسان النوايا، بأنه كلما أحسن المكلف نيته كلما كان ذلك سببًا للتوفيق والقبول، فعلى قدر النوايا تكون العطايا.

(٦) النية النافعة هي أن يقصد المرء بعمله وجه الله تعالى سواء كانت النفس تحب

(٣٧) ينظر: "إحياء علوم الدين" (٣٦٩/٤).

ذلك وتشتهيه أو تبغضه وتقليه.

(٧) النِّيَّة قطب الْعَمَل وعَلَيْهَا يَدُور، وَقد يُفِيد مُجَرّد النِّيَّة من غير عمل، ولَا يُفِيد عمل من غير نِيَّة.

(٨) ويظهر البعد الفلسفي في تعديد النيَّة من خلال ثلاثة أُمور:

- **الأول:** تحويل العادة إلى عبادة بالنيَّة.
- **الثاني:** أنَّ لكل نيَّةٍ عمل.
- **الثالث:** أنَّ النية أبلغ من العمل.

(٩) النيَّة تدخل في كل أفعال المُكلَّف، ويشمل ذلك المعاصي والطاعات والمباحات.

(١٠) النية الفاسدة تفسد العمل الصالح، ولكن النيَّة الصالحة لا تحول العمل الفاسد إلى عمل صالح.

المصـادر والمراجع

القرآن الكريم: كتاب الله عزَّ وجلَّ.

كتب التفسير وعلوم القرآن والسنة النبوية:

- الطبري، جامع البيان، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- أبو منصور الماتريدي، تفسير، ت: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة أولى، ٢٠٠٥م.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، "صحيح البخاري" تحقيق د/ مصطفى البغا، الناشر: ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري "صحيح مسلم" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- الحافظ ابن حجر العسقلاني، "فتح الباري"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار المعرفة، بيروت، لبنان: ١٣٧٩هـ.
- شرف الدين يحي النووي، شرح صحيح مسلم، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، بيروت، لبنان: ١٣٩٢هـ.
- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدِّهلوي الحنفي المتوفى بها سنة (١٠٥٢هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق– سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ- ٢٠١٤م.
- القاضي عياض، "إكمال المعلم"، ط. دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- القاسم بن سلام، غريب الحديث، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٩٦٤م.
- شرح الإلمام بأحاديث الأحكام" للإمام ابن دقيق العيد، ط. دار النوادر، و"التوضيح لشرح الجامع الصحيح" للحافظ ابن الملقن، ط. دار النوادر.
- "جامع العلوم والحكم" للحافظ ابن رجب الحنبلي، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت ٢٠٠١م.
- زين الدين المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ.

كتب اللغة:

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد

السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩م.

- أبو الحسن بن سِيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الخامسة ١٩٩٩م.
- لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، ت: عبد الرزاق المهدي، ط. دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ت: محمد مرعب، ط. إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- "الفروق اللغوية" للإمام أبي الهلال العسكري، ط. دار العلم والثقافة، القاهرة - مصر.

كتب الفقه وأصوله:

- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الناشر: دار الحديث– القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الطبعة: بدون طبعة.
- نجم الدين الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر. دار الفكر، عام النشر: ٢٠٠٤م.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ت: علي شيري. دار إحياء التراث العربي، ط١: ١٩٨٨م.
- أبو بكر الآجري، الشريعة، ت: د/عبد الله الدميجي، دار الوطن، السعودية، ط٢، ١٩٩٩م: (٢٥٤٩/٥).

- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الإمام الكاساني، بدائع الصنائع، ط. دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- الإمام ابن قدامة الحنبلي، "المغني"، ط. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- نهاية المحتاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، ط. دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. ١٩٨٤م.
- الإمام الشاطبي، الموافقات، ط. دار الفكر.
- الإمام القرافي "الذخيرة"، ط. كلية الشريعة، القاهرة: ١٩٦١م.
- الإمام القرافي "الأمنية في إدراك النية" ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
- العلامة ابن عابدين "رد المحتار" (٣٠٤/١، ط. مطبعة الحلبي).
- الإمام الغزالي "إحياء علوم الدين"، ط. دار المعرفة.
- الأمير الصنعاني، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، ط. دار السلام، ط١، ٢٠١١م.
- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
- زين الدين المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، طبعة: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٠م.
- د/ محمد مصباح القاضي، "مبدأ حسن النية في قانون العقوبات"، دراسة تحليلية لفكرة حسن النية في القانون المصري والقانون المقارن، ط. دار النهضة العربية – ١٩٩٧م.
- ابن الحاج "المدخل"، ط. دار التراث.